مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٢، صيف ١٤٣٩هـ
صفحة ٢٠٩ – ٢٣٣

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

دراسة سوسيولوجية في رواية "ذات" لصنع الله إبراهيم

خاطرة احمدي[١]، محمد خاقاني اصفهاني[٢*]، نرگس گنجي[٣]

١. طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان
٢. أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان
٣. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/٩/٢ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٨/٥)

الملخّص

سوسيولوجيا النص يسعي لتحقيق فعل القراءة بطريقة أساسية وعميقة. والنص لا يكون تاماً ولا يستطيع تحقق كيانه إلّا بعد قراءته. النقد السوسيولوجي من الأساليب الجديدة المؤثرة لتحليل النصوص الأدبية، وخاصّة لتحليل الرواية. بناءً على هذا تحاول هذه المقالة من خلال المنهج الوصفي- التحليلي قراءة نص رواية "ذات" لصنع الله إبراهيم، والوصول إلى المسائل الاجتماعية والأيديولوجية التي عاش فيها المجتمع المصري والتي حاولت الرواية تصويرها. الهدف من اختيار هذه الرواية أهميتها في تصوير المجتمع المصري والوصول إلى معاناته خلال فترة حضور الأجانب في البلد. والنتائج تشير إلى أنّ صنع الله إبراهيم لعيشه طيلة العمر في مدن مصر يعرف حياة الطبقات المصرية المتوسطة معرفة عميقة وهذه الرواية تعبر عن أيديولوجية محددة، يمكن التعبير عنها من خلال اتحاد كل مكونات بنية الرواية، فهناك علاقة وثيقة بين عناصر الزمان، والمكان، والفئات الاجتماعية، والشخصيات الروائية والمشاكل الاجتماعية المطروحة في الرواية.

الكلمات الرئيسة

النقد السوسيولوجي، مصر، صنع الله ابراهيم، رواية "ذات".

* الكاتب المسؤول
Email: m.khaqani@fgn.ui.ac.ir

Archive of SID
www.SID.ir

مقدمة

الأدب بما فيه من القصّة والشعر والرواية والمسرحية وما إلى ذلك، ينبع من بطن ثقافة المجتمعات «قد تمكن الأدب القصصي في العصر المعاصر أن يلعب دورا هامّا في انتقال ثقافة وفنّ الملل وعني به في هذا العصر عناية بالغة حيث يقول مارون عبود: «القصة في يومنا هذا لفت انتباه كثير من الشباب المشتاقين للأدب والفن حيث غلبت على بقية الأنواع الأدبية» (عبود، ١٩٦٦: ١٨١). النقد السوسيولوجي يعتقد أنّ الأدب يتشكل في باطن المجتمع، وهو وجه من وجوهه. في النقد السوسيولوجي «يدرس تأثير الأدب على المجتمع وتأثير المجتمع على الآثار الأدبية» (زرين كوب، ١٣٦١: ٤١). كما يعتقد لوكاتش «بانعكاس الحياة اليومية في الأثر الأدبي، فيرى أنّ هناك علاقة وثيقة بين الأشخاص، والرواية تتحدث عن بعض التحولات التي تحدث في المجتمعات البشرية في واقعها وظروفها، مع أنّها تشير اشارة إلى المتغيرات الخاصة التي تتفاعل مع الواقع الاجتماعي» (غولدمان، ١٩٩٣: ٢٤). المؤلفات الأدبية تعتبر انعكاسا للظروف الفكرية والثقافية لكلّ عصر. «هناك علاقة الاحتجاج القائمة بين النصّ ككلّ وبين محتوى النص، والنص ككلّ من صياغة المبدع، أمّا محتوياته فهي عناصر مستمدة من الحقل الاجتماعي الإيديولوجي» (لحمداني، ١٩٩٠: ٢٩). في هذه المقالة نريد أن نقوم بدراسة سوسيولوجية لرواية "ذات" وفهم إيديولوجية الكاتب، وللوصول إلى هذا الهدف حاولنا دراسة العناصر الروائية كالفئات الاجتماعية والشخصيات الحكائية والزمان والمكان وعلاقتها بالمشاكل العالقة في المجتمع، حيث نرى أنّ الراوي يهدف إلى رسم الواقع الاجتماعي، فيحاول إخراج الأمّة من بعض مشاكل الحياة وصعوباتها. فيهتم الباحث بالرواية للوقوف على واقع المجتمع وظروفه. بما أنّ المؤرخين لايتمكنون من رسم الظروف السياسية والاجتماعية لعصورهم بشكل مباشر، فالدراسة السوسيولوجية للآثار الأدبية تساعد على ترسيم هذه الظروف بشكل أوضح. تهدف هذه الدراسة بناء على المنهج الوصفي - التحليلي تبيين انتقاد صنع الله ابراهيم للمتغيرات التي أحاطت بمجتمعه، كما تسعى إلى إضاءة العلاقة التي تربط العمل الأدبي بالواقع والمجتمع.

خلفية البحث:

كثرت البحوث التي تناولت الرواية مادةً للبحث، وشغلت حيزاً واسعاً في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة يصعب حصرها. ما تيسر لنا الاطلاع عليه من الدراسات حول

Archive of SID

www.SID.ir

السوسيولوجية دراسات كـ: دراسة لحميد لحمداني (١٩٩٠م) "النقد الأدبي والأيديولوجيا" من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي الذي قدم دراسة لـ منهج بير زيما وتصوره على الرواية، لذلك كان تركيزه على النص الروائي. ودراسة عبد الوهاب شعلان (٢٠٠٨م) "المنهج الاجتماعي وتحولاته" وكانت هذه الدراسة مخصصة لمنهج سوسيولوجيا النص لـ بير زيما، وقد ركز على كتابة "النقد الاجتماعي" مروراً بأهمّ النظريات النقدية السوسيولوجية، كما تناول وضع النقد الاجتماعي عند النقاد العرب.

ومن الدراسات التي أنجزت حول صنع الله إبراهيم وآثاره هي: آرمن وآخرون (١٣٨٩ش) في مقالة "تيار الوعي في التلصص لصنع الله إبراهيم" يشيرون إلى أنّ الروائي يستخدم تيار الوعي معبّراً عن أفكاره ومشاعره. فينتقل في أسلوبه السردي من السرد الخارجي أو الحوار إلى المونولوج الداخلي فيستفيد من الوصف الخارجي ويذكر التفاصيل الدقيقة والمطولة للشخصيات. گنجيان وآخرون (١٣٩٠ش) في مقالة "السرد واللغة في رواية التلصص لصنع الله إبراهيم" يقولون أنّ الكاتب يعتني بالتفاصيل معتمداً على صلات الطفل الراوي بالبيئة والشخصيات، ويتحدث فيها عن أبطال الرواية حسب المواقف التي تقتضي الكلام.

پرويني وآخرون (١٣٩٣ش) في مقالة "بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم" يعتقدون أنّ الكاتب سعى إلى الاقتراب من الواقع أكثر فأكثر، ولكنه عرضه بطريقة مختلفة عن الروايات التقليدية، إذ اختفى البطل والشخصية الرئيسة لا يحمل اسماً وليس له عنوان أو ملامح خارجية. أفضلي وآخرون (١٣٩٤ش) في مقالة "قراءة في أصالة الوجود في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم" يرون أنّ الكاتب حاول أن يرسم شخصية لا يغير الواقعية أبداً؛ لأنّه شهد زوال المباني الإنسانية. أمّا الدراسات التي تخصّصت برواية "ذات" فقليلة جداً ونحن لم نجد دراسة تتناول النقد السوسيولوجي لهذه الرواية، اللهم إلّا ملخصا حوالي صفحة عن تحليل هذه الرواية وهذا الملخص كان شرحا موجزا عن موضوع الرواية ومقالا باسم "ذات صنع الله إبراهيم من منظور معلوماتي" ألّفه نبيل على والمؤلف في خمس صفحات يتحدث عن هذه الرواية ويشرحها من حيث المعلومات الجزئية، فيبدو أنّ هذا المقال جديد وجدير بالاهتمام. محمد الداهي في مقالة "التشاكل في رواية ذات لصنع الله إبراهيم" يعتقد أنّ كل عنصر من عناصر رواية "ذات" يعد جزءاً من مجموع المتواليات الضرورية والثابتة التي تضمن تماسك النص. فهناك تشاكل منطقي في الرواية بأسرها،

Archive of SID

www.SID.ir

والعنوان بمثابة مركز منظم يقضي على الاضطرابات ويجمع شتات ما تفرق. وهناك اللاتجانس الظاهري في الرواية، ولكن سرعان ما يتبدد هذا اللاتجانس بواسطة جنس الخطاب، فلا تعتبر المواد الصحفية في الرواية حشواً بل هي ذات بعد أيديولوجي.

السؤال والفرضية:

السؤال: كاتب رواية "ذات" كيف استخدم الواقع في روايته؟ وما هي الأيديولوجية التي تبنّاها تجاه هذا الواقع الاجتماعي؟

الفرضية: قد استطاعت رواية "ذات" تجسيد الصراعات الاجتماعية والتوترات التي يعيشها المجتمع والكاتب في هذه الرواية استخدم العناصر الروائية كالفئات الاجتماعية والشخصيات الحكائية والزمان والمكان للتعبير عن المشاكل العالقة في المجتمع للوصول إلى الحل وإنقاذ البلد.

السوسيولوجيا أو علم الاجتماع لغة واصطلاحا

السوسيولوجيا[1] أو علم الاجتماع[2] مصطلحين مختلفين ولكن لهما مفهوم واحد وهو العلم الذي يدرس المجتمعات والقوانين التي تتحكم تطوره وتغيره.

السوسيولوجيا أو علم الاجتماع لغة:

لفظة "سوسيو" «مشتقة من الكلمة اللاتينية (socius) والتي تعني صاحب أو رفيق وفيما بعد أصبحت تعني الشخص الذي يتسم بالطابع الاجتماعي. فالسوسيو نقد ظهر كجسر بين شكل ومضمون النص، بين الشكلية والاجتماعية» (بحيري، ٢٠٠٤: ١٨) ارتبط ظهور علم الاجتماع بدراسات أوغست كونت، حيث أطلق عليه اسم الفيزياء الاجتماعية تيمناً بالعلوم الطبيعية التي ذاع صيتها في تلك الفترة، ولقد استعان كونت هذه التسمية من خلال كتابات أستاذه سان سيمون، ثم أطلق سنة ١٨٣٨م عليه اسم علم الاجتماع. (عبدالرحمن، ٢٠٠٣: ٤٤) «"فأوّل من استعمل اصطلاح السوسيولوجيا هو أوغست كونت، إلا أن الفيلسوف الانجليزي "جون ستيوارت ميل" استعمل هذا الاصطلاح في إنجلترا خلال الفترة التي عاش فيها كونت، وظهر استعمال هذا الاصطلاح في كتابه المسمي"علم المنطق" الذي نشره عام ١٨٤٣م» (معتوق، ٢٠٠٩: ١١).

1. Sociology
2. Social science

Archive of SID

www.SID.ir

السوسيولوجيا أو علم الاجتماع اصطلاحا:

إنه من غير المعقول أن نذكر علم الاجتماع ولانذكر المفكر العربي"ابن خلدون" والذي ساهم بالشكل الكبير في تأسيس هذا العلم ورسم ملامحه الأولي. فلم يعرف ابن خلدون علم الاجتماع تعريفاً مباشراً، فهو يرى «أنّه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماعي والإنساني، وذو وسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته بعد الأخرى، وهذا شأن كل العلوم وضعياً كان أو عقلياً» (ابن خلدون، دون تا: ٣٥). علم اجتماع النص أو سوسيولوجيا النص هو المنهج الذي يدرس المجتمع في النصوص الأدبية، بعبارة أخرى هو المنهج الذي يتفاعل «بها النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة» (زيما، ١٩٩١: ١٧١) ويكون علم اجتماع النص هو العلم الذي يهتم بمعرفة الطريقة التي تتجسد فيها «القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص» (زيما، ١٩٩١: ١٢).

ملخص الرواية

"ذات" بطلة الرواية، شابة مصرية، بسيطة، طيبة القلب. إنّها صاحبة المواقف الإنسانية، وتدافع دوماً عن المظلوم. ولدت في عهد عبدالناصر، وعاشت شبابها وتزوجت في عهد السادات وأصبحت امرأة ناضجة في عهد مبارك. تزوجت من عبدالمجيد موظف غير جامعي. إنّها تزوجت لأنّ صديقاتها قد تزوجن وهي كانت خائفة من الوحدة في الشيخوخة. زوجها عبدالمجيد شخص صارم، غضبان، متزمّت، لكنه وسيم، أنيق ويهتم بنفسه كثيراً. حينما تزوجت"ذات" كان حلمها الوحيد عبدالمجيد ولكن فيما بعد تنازلت عن أحلامها ودراستها، لأنّها أرادت أن تواصل دراستها، لم يسمح لها زوجها، لأنّه كان معتقداً بأنّ المرأة يجب أن تبقى في البيت وتنجز أعمال البيت. وبعد مُضيّ زمنٍ فهم بأنّ تكاليف الحياة باهظة ولا يمكنه أن يوفرّ كلّ هذه التكاليف بوحده، فأمر زوجته بأن تعمل خارج البيت، ففي نفس الوقت أدركت بأنّها تزوجت برجل صارم، متعصب، يضعها ضمن ممتلكاته الشخصية، يعبث بها حينما يريد ويتركها جانباً حينما يشعر بالملل. وسرعان ما بدأت هذه الفتاة الخجلة عملها في آرشيف إحدى الجرائد، للحصول على لقمة عيش ضئيلة، يعزّ تحصيلها.

مرّت الحياة عادية، عاشت "ذات" وكبرت وفرحت وحزنت. رغم أنها كانت امرأة وفية وطيبة، لكنها لم تكن محجبة ولهذا واجهت صعوبات طائلة في حياتها.

Archive of SID

www.SID.ir

إنّها لعبت دور الزوجة والأم وربّة البيت، وحينما كانت تفكر بمستقبلها الأسود كانت تبكي بكاءً شديداً، وخاصّة تعودت على البكاء في المرحاض ولكن بعد ذرف الدموع كانت تحاول من جديد. هذه الفتاة تبحث طريقاً للخروج من الوحدة والخوف والألم.

سميحة من الشخصيات الأخرى في الرواية وهي جارة لـ"ذات"، إنّها شابة لم تكمل ربيعها العشرين، تزوجت بوجدي الشنقيطي الذي يكبرها بعشرين سنة، وهو مهندس بناء. سميحة كانت محرومة من أي نشاطٍ اجتماعي، فوجدت في "ذات" نافذة على العالم و"ذات" وجدت فيها صديقة حميمة. وفي ظلّ هذا المناخ السائد تصاب "ذات" بالمشاكل الجسمية والمعنوية، فتجري من مستشفى إلى آخر لتعالج ورماً سرطانياً في ثدييها.

سيميائية العنوان

إنّ دلالة العنوان الظاهرية تكمن في حدثها الأساسي وهذا العنوان يشجع القارئ على قراءة الرواية وكشف الأيديولوجيا الموجود فيها. إنّ العنوان كلمة رمزية وإيحائية والكاتب لم يسمي روايته باسم امرأة عادية، بل سماها باسم غريب "ذات". يشير اسم البطلة ذو الدلالة إلى أنّ الكاتب لم يقصد بها شخصية فردية وإنّما نموذجية، لا تلفت الأنظار، لكن اختارها صنع الله إبراهيم لتعكس أحداثاً عديدة عايشها المجتمع المصري لأكثر من ثلاثين عاماً والكاتب يريد الإرتقاء بـ"ذات" من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي. ربما نستطيع القول أنّ اختيار هذا الاسم لبطلة القصة يستدعي لنا علاقة بين هذا الاسم وعنوان كتاب انور السادات باسم "البحث عن الذات" فاختيار شخصية "ذات" وعبدالمجيد هو عرض شخصية أنور السادات وجمال عبدالناصر. عبدالمجيد يهدم كلّ الأشياء كمّا أنّ عبدالناصر جاء بمعول الهدم وخرّب مصر، لكن "ذات" تلعب دور السادات الذي جاء للبناء وحاول أن يصلح ما دمّره عبدالناصر.

يقول صنع الله إبراهيم: «عندما كتبت "ذات" كان في ذهني أن أصور امرأة مناضلة تقاوم النظام عبر تشكيل جهاز ـ مع أصدقائها ـ يقتحم شاشات التلفزة يقول أن الخطابات على تلك الشاشات كاذبة. لكن صورة تلك المرأة بدأت تتحول تدريجياً إلى النموذج السائد واحتفظت في ذهني بفكرة المرأة القائدة، عكس النموذج السائد الذي يدخل في معارك صغيرة ليعبر من خلالها عن ذاته تنفسياً عن الإحباط الذي يعيش فيه، فكانت هذه الرواية "ذات" (http://arshive.aawsat.com) . يتشخص التاريخ المعاصر المصري من خلال مسيرة "ذات"، فكلّ فترة من حياتها تعكس الحالة السياسية والوضعية الاجتماعية أثناء حكم أحد الرؤساء الثلاثة.

Archive of SID

www.SID.ir

قراءة في الرواية

صنع الله إبراهيم روائي مصري من ألمع نجوم الأدب العربي المعاصر، إنّه يعرف حياة الطبقات المصرية المتوسطة معرفة عميقة لعيشه طيلة العمر في مدن مصر، ويحاول من خلال شخصيات روايته تصوير الحياة العامة في البلد. وبما أنّه يكون في وعي الكاتب أو لاوعيه متلقٍ متخيل يكتب له ويخاطبه، فحاولنا أن نعيد إنتاج نص رواية "ذات" من خلال قراءة عنه في الرواية ومحاولة تأويلية بما يتناسب مع ظروف الحقبة التاريخية، لفهم ما يدور في مجتمع النص بوصفه مجتمعاً مستقلاً عن الواقع. فتحاول الدراسة داخل حلبة الصراع الأيديولوجي- السياسي لكشف كل أسباب تهاوي الأخلاق والقيم وشيوع البؤس والفقر داخل مجتمع النص، هذا المجتمع الذي يتماهي مع مجتمع الواقع. تبدأ الرواية بطريقة مباشرة من لحظة ولادة "ذات"، ثمّ يعترف الكاتب بأنّ النقاد لن يرحّبوا بالبداية المباشرة في الأدب، لأنّه لا يؤدي إلى نتيجة جيدة. ومن حيث الزمان تبدأ الرواية بثورة يوليو ١٩٥٢م وتنتهي بثورة يناير ٢٠١١م ليرصد الستين عاماً الأخيرة في حياة مصر وهي سنين حياة بطلة الرواية. إنّ الكاتب باستخدام هذه البطلة يريد أن يرسم الصورة العامّة للمجتمع المصري.

هذه الرواية تنقسم إلى قسمين؛ قسم الرواية... وقسم لأخبار مجتمعة من الأرشيف الصحفي لمصر في فترة هامة ما بعد السلام؛ أواخر السبعينات وحتي أوايل منتصف الثمانينات. فالكاتب يتحدث بين كل فصل عن مجموعة أخبار الصحف التي تفضح بشدة فساد كل ما حدث خلال هذه الفترة. هذا القسم الثاني يحتوي على أخبار كثيرة، استخدمها صنع الله إبراهيم في نصه الروائي؛ وتشمل الخبر الصحفي والوثيقة والإعلان والتحليل الخبري والبحث والدراسة العلمية واليوميات، والمذكرات الشخصية وغيرها من المعطيات الأخرى التي تتداعي فن الكولاج في ذهن القارئ و«مايزال صنع الله إبراهيم فوق عرش النص الكولاجي دون منازع» (http://www.liilas.com). يصور الكاتب تلك الظروف البشعة والقاسية من خلال الأخبار والأحداث التي وردها في الرواية.

تحولات كبيرة تمرّ بـ"ذات"من مرحلة الطفولة إلى المراهقة والشبابية وثمّ إلى الكهولة في محيط أسرتها إمّا في بيت والديها وإمّا في بيت زوجها، هذه التحولات تعبير عن الإحباطات الجماعية القاسية. هذه الفتاة الخجلة تصور حياة امرأة مصرية من الطبقة الوسطى خلال حكم الرؤساء الثلاثة ناصر والسادات ومبارك وتدهورات الظروف المعيشية وانحلال الأخلاق العامة وصعود التعصب الديني.

Archive of SID

www.SID.ir

رواية "ذات" رواية صعبة ومرهقة وتحدث الكاتب فيها عن معاني الإحباط والمرارة والظلم والألم. هذه رواية حول موضوع الجنس والهزيمة والخيانة، فالكاتب يدافع عن الفقراء والمسحوقين ويرسم الطبقة الحاكمة في مصر وظلمهم تجاه الشعب. تتشابه حياة "ذات" مع حياة غالبية نساء مصر، فالأحاسيس والمشاعر كالخوف والقلق والشك والبكاء واليأس ثم الأمل التي تواجهها هي نفس شعور كل الناس وخاصّة النساء في مصر. يبدو أنّ الكاتب اختار بطلة لروايته، لأنّ حياة المرأة تكشف الآلام أكثر ويقصد الروائي أن يسرد مسار بلده على هامش حياة هذه المرأة البسيطة والمظلومة.

يكشف الخطاب الأيديولوجي في الرواية عن عجز لإدارة السياسية ونخبها في الصناعة الناجحة اقتصاديا واجتماعيا، لأن تلك الإدارة السياسية ونخبها بدل التركيز على تطوير القوى المنتجة والعمل الدؤوب، ارتكزت على أعمال الوساطة للمصالح الأجنبية والسمسرة الطفيلية. ترصد الرواية التقارب بين عبدالناصر والشعب من خلال وصفها لمشهد عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧م. تعكس الرواية رؤية النخب اليسارية من السادات، وكأنها تميل إلى الرؤية الأيديولوجية التي سادت في عهد عبدالناصر، لكن الرواية لا تتعمق في الدفاع أو تأييد تلك الرؤية وتكتفي بذلك المشهد الذي يعكس صدى الرؤساء لدي شعوبهم أو نخبهم. لذلك استهلت الرواية أيديولوجيتها السياسية بعرضٍ لواقع مجتمعي متغير يعبر عن رؤية سياسية، لم يشأ النص الروائي أن يقحم نفسه فيها، واكتفى بالتلميح دون التصريح، محاولا أن يوظف فطنة قارئه لفهم فضاء النص وما يريد النص البوح به. لقد سعى المؤلف التعبير عن هذا الواقع المجتمعي المستبد لخدمة روايته الأيديولوجية عبر النص الروائي، فالراوي يتحدث عن الأيديولوجيا الذي يعتنق النص أو يسود المجتمع في الرواية فهو يعبر عن الواقع العنيف في المجتمع.

سبب عدم نشر الرواية لسنوات عديدة

كانت زمنية كتابة الرواية ١٩٦٨ م، لكن نشرت بعد عقود من كتابتها. هذه الرواية وبطلتها "ذات" تمثل التحولات الاجتماعية في مصر في فترة ما بعد السلام، أيّ منتصف الستينات وأواخر السبعينات وحتي أوايل الثمانينات بشدة وجرأة غريبة. ترتيب الأخبار والأسماء والأحداث وكلّ شيء في هذه الأخبار كان مباشراً وبشدة ويفضح الكثير من الحقائق العالقة آنذاك. لأجل هذا لم يسمحوا بنشرها حتى سنة ١٩٩٢م. ذهب الكاتب إلى البلاد أخرى مثل بيروت ولندن وفيما

Archive of SID

www.SID.ir

بعد كانت الفرصة متاحة لنشرها في زمن السادات، حينما كانت الحملة الساداتية ضد عبدالناصر، فهو بنفسه اختفى الكتاب ولم ينشره حتى حان الأوان في سنة ١٩٩٢م.

دراسة سوسيولوجية في رواية "ذات"

في هذا القسم من المقال نريد أن نقوم بدراسة الفئات الاجتماعية الموجودة في الرواية والشخصيات الحكائية والزمان والمكان وعلاقتها بالمشاكل الاجتماعية المطروحة في الرواية وبأيديولوجية الكاتب للتعبير عن ظروف المجتمع.

الفئات الاجتماعية:

يتشكل النص من خلال ظروف اجتماعية واقتصادية محددة، والهدف من الدراسات السوسيونقدية هو توضيح المنهج الذي يعبر به النص عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الموجودة في المجتمع عن طريق اللغة؛ فالكلمات والجمل والعبارات تساعد القارئ على شرح ايديولوجية معينة كما أنّ اللغة تأثر بهذه المشاكل، ووجدنا أن رواية "ذات" تتشكل من فئتين اجتماعيتين مختلفتين ومتناقضتين في الوقت ذاته، فالفئة الأولى هي فئة العمال والطبقة الكادحة في المجتمع، والفئة الثانية هي فئة أرباب العمل أو الطبقة الغنية. هنا نريد أن نقوم بشرح هاتين الفئتين في الذيل:

أ) فئة العمال:

في المجتمع المصري البائس الفقير، تعتبر أغلبية الأسر من العمال، وهذه الفئة تتحمل المعاناة والاستغلال بأفجع طريقة. فنلاحظ أنّ مكان العمل هو كهف مظلم، مليء بالرطوبة: «نُقلت ذات إلى الأرشيف الذي يحتلّ الطابق الأخير من مبنى قديم مجاور، يصعد إليه درج مظلم وكئيب، وتتصدره صالة طويلة ضيقة غصت بالمكاتب الخشبية والمعدنية المتلاصقة، والمقاعد الخالية، وحملت جدرانها المدهونة حديثا بلون أخضر قاتم...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣). فهذا المكان هو رمز للخضوع والمهانة والذل، فهو لا يشبه أماكن العمل، ولم يكن مظهر هذا الكهف وحده الكريه والبشع، بل حتى الذين يعملون فيه، فبمجرد دخول عامل جديد عليهم، يستقبلونه بالنظرات الثاقبة والوجوه العابسة، فهو شخص غريب عليهم، وغير مرغوب فيه. فهذه "نادية" التي انضمت اليهن، فمنذ دخولها إلى هذا الكهف شعرت بالاختناق، فقد بدأت النظرات الثاقبة والوجوه الشاحبة تنظر إليها نظرة العداوة: «اكتشفت ذات الامر عندما

Archive of SID

www.SID.ir

تغيبت نادية مرة، فأرادت أن توقع باسمها في دفتر الحضور، كما جرت العادة التضامنية بين العاملين، وإذا بوجه الأرنب تنفجر فيها وقد ارتفع حاجباها المزججان: مبقاش الا المسيحية دي كمان نمضيلها» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٩٩).

وبعد دخول "نادية" الكهف بدأت الأوامر من طرف زميلاتها في العمل ومع هذا لم تتقبل الماكينات هذه المرأة المسيحية: «واستولى القنوط على "نادية" عندما فشلت في إدراك سر الاضطهاد الذي تتعرض لها» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٩٩) إن القانون الذي يسير عليه هذا الكهف، يشبه ما يحدث في الكهف الأكبر الذي يعيش فيه "البلد" فلا فرق في المعاملة بين البيت والشارع والمدينة، فكل البلد تتعرض فيه "نادية" للمهانة، والذل، والاحتقار ولا ترى الاحترام أبداً. كل مواطن في هذا المجتمع شأنه شأن هذه العمال والسبيل الوحيد الذي قد يتقي به الفرد هذه المهانات هي الطاعة لكل الأوامر، فلا قيمة للكرامة والإنسانية، والطاعة العمياء هي الحل الوحيد.

اللون الأصفر والشاحب هو لون العمال في هذه الرواية وهذا اللون يعبر عن الظروف القاسية التي يعيشونها، كما أنّ هذا اللون يدلّ على أنهم مرضي: «خاتمة المطاف جاءت بلون شاحب في معهد السرطان، أو الأورام، كما يلقب نفسه تحشما، وسط الفلاحين والفلاحات القادمين من أقاصي النجوع، ببطون وأعناق ومثانات وأرحام وأثداء متورمة، المقرفصين إلى جوار جدران قاعة انتظار مظلمة وباردة» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣). فهذه الفئة من المجتمع هي فئة الطبقة الكادحة التي تحاول الحصول على عيش كريم، رغم الظروف القاسية التي تعمل فيها، إلا أنّ حالها لا يتغير أبدا ولا أمل عندهم، بل كل يوم يمر عليهم أسوأ من قبله، فشغلهم الشاغل هو الحصول على قطعة خبز وهو الذي أصبح شيئ صعب المنال في هذا الزمان الصعب.

في هذا المجتمع من وجهة نظر ايديولوجيا نجد اختلافاً كبيراً بين هذه الفئة من العمال، في حين جماعة منهم مثل "ذات" يحاولون استنهاض الهمم النائمة، يقابلهم البعض الآخر بالاستهزاء والاحتقار ولكن أغلبيتهم نائمون ولايستفيقون من نومهم العميق. إنهم خاضعون، مستسلمون وأنّهم تعودوا على هذا الخضوع والاستسلام. "ذات" حينما ترى أنّ العلبة التي اشترتها تحمل ورقة مطبوعة بتاريخ الانتاج ومدة الصلاحية التي تنتهي بعد ثلاث سنوات، انقضت منها سنة واحدة. وعندما تغسل العلبة بعناية، تتحرك الورقة وتظهر تحتها ورقة أخرى تحمل تاريخاً آخر انقضى زمنه قبل سنتين: «فحفزت ذات لأداء واجبها بشأن علبة الزيتون...

Archive of SID

www.SID.ir

ولكن فقد أبدت الماكينات شكوكهن في جدوى أي تحرك ضد رئيس مجلس الإدارة، فضلا عن عواقبه...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٣١٢). فنلاحظ خوف العمال من الاعتراض والشكوى. ولم يسأل أحد كيف يمكن لهذه الفئة الضعيفة أن تحدث التغيير؟ كيف يعيدون بناء االبلد؟ هذه الأسئلة لو كانت تطرح بين جميع العمال، كانت توعيهم ولكن هذه الجماعة تصمت أمام هذه الوقائع، ولم يجرأ أحد من العمال من الإجابة، وهذا الصمت الذي حل على رؤوس العمال. فليس الوعي مشهودا بين العمال جميعاً والوعي ضعيف جدا وهو عند "ذات" وهي أيضا لوحدتها ولأنّ اليد الواحدة لا تصفق، فلاتظهر وعيها وتصمت. ما يمكن القول على هذه الفئة الاجتماعية؛ أنّها فئة تعيش التمزق، والقلق، وعدم الاتزان، والتوتر النفسي، والداخلي.

ب) فئة الأثرياء:

الفئة الغنية في هذه الرواية تشمل فئة صاحب العمل وصاحب العلاقة مع كبار المسئولين و....، إنهم يعيشون في يسر ونعيم في ظل الظروف القاسية التي يمر بها المجتمع ويتمتعون بالحياة وما فيها خلافاً للعمال والفقراء المساكين الذين يعيشون في عسر وصعوبة. وهذه الفئة يهتم بمنافعها الشخصية ولايهتم بالناس العاديين أبدا. الكاتب في أكثر الأحيان يتحدث عن الأثرياء في مقابل الفقراء ويرسم لنا حياتهم.

تعتبر صديقات "ذات" من ضمن هذه الفئة الثرية، فابنة خالتها عفاف تغير شقتها إلى أخرى تدخلها الشمس وتطل على البحر، وزينب تتزوج وتسافر إلى الخليج ثم تعود بسيارة غالية وتنتقل منال من أمريكا إلى جنيف بعد أن يصبح زوجها من خبراء الأمم المتحدة. رؤية مثل هذه المشاهد تسبب في اصابة ذات بالاكتئاب؛ لأنّها بعد مضي سنوات من زواجها لم تتغير ظروفها الاقتصادية بل تردت ظروفها. هناك فئة باسم المهندسين يقومون بعملية الهدم والبناء في الشقق القديمة ويخدعون السكان ويكذبونهم لكي يصلوا إلى ثروة عن طريق هذه الفئة الفقيرة. إنّهم بمثابة صاحب العمل يرتدون أفخر ملابسهم ويأخذون مفتاح سيارة في يدهم ويعرضون عليهم خدماتهم بوصفهم مهندساً ويحاولون أن ينضموا العمارة إلى مسيرة الهدم والبناء لأجل الحصول على النقود. فهم لايهتمون بهذه الفئة المسكينة: «أنّ القائد الحقيقي لهذه العملية كان باشمهندساً، ليست له مهنة محددة... قام بزيارة موظف الزراعة عندما لاحظ فتح الله عليه، مرتدياً أفخر ملابسه، مدلياً من رقبته سلسلة ذهبية... ليعرض عليه خدماته بوصفه مهندساً للديكور» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣).

Archive of SID

www.SID.ir

في كلّ مرحلة يطلب من السكان أن يبدلوا قسماً جديداً من بيوتهم: «وبالرغم من الشواهد الواضحة، نجح مهندس الديكور في اقناع الضحيتين -عبدالمجيد والحاج فهمي- بأنّ الأمر يتعلق بالعهد القديم والحل؟ أن يقوم هو بنفسه بعملية جديدة، لتعرية السقف ليجف، ثم اعادة دهانه، على نفقة عبدالمجيد بالطبع» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥٩). إذا السكان الجاهلون لايعلمون مدى كذب وخداع هؤلاء المهندسين على هذه الفئة الفقيرة، فلا يعترضون. لكن نلاحظ اعتراضاً وحيداً من جانب بطلة الرواية "ذات" التي شكت في كفاءة مواسير الباش مهندس، فأبدت رأيها وقالت: «أنّ الطريق إلى سقف حمام الحاج فهمي يبدأ من أرضية حمامها» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥٩). ولكن زوجها عبدالمجيد يزيح اعتراضها كعادته ويلومها وهو دائما كان يلومها ولا يرى قيمة لآرائها أبداً. فزوجها ينطفئ هذا الصوت الصارخ ولا يسمح لها بالعرض. فنلاحظ أنّ ذات امرأة مصرية كأغلب النساء في كل زمان ومكان يكبت من قِبَل الرجل: «فاتهمها بأنها لا تفهم شيئاً، ثم خاصمها لمدة أسبوع، أنجز الباشمهندس خلاله عمليته المحدودة» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥٩)، فكان الباشمهندس يظهر كلّ يوم باقتراحات جديدة وكان يؤكد عليها.

نستطيع القول أنّ ظهور هذه المفاسد في المجتمع المسلم كمصر، يعتبر نتيجة للظروف الأخلاقية والاجتماعية الموجودة في المجتمع في تلك الفترة، كما نرى أنّ الأزمة الاجتماعية والسياسية السائدة أدّت إلى فساد الأخلاق وانعدام الأصول الانسانية في هذا المجتمع وهذا لا يعني أنّ المجتمع بشكل كامل وقع في الفساد، بل إنّ الفئة الغنية من سكان هذا المجتمع أصبحت بعيدة عن حسها الوطني وانتمائها، ورجحت حبّ مصالحها عن مصلحة البلد والوطن. أزمة المجتمع والظروف الاجتماعية السيئة والبشعة جعلت الشخصيات أمثال "ذات" تصاب بأمراض داخلية كثيرة، منها حب للذات والتنكر للآخر والابتعاد عن الدين والعلم، وهذه العوامل تسبب في شيوع الفقر والأزمات الاجتماعية، ولنهوض هذا المجتمع مرّة أخرى من جديد، يجب أولا إصلاح المجتمع داخلياً والقضاء على هذه الأمراض التي تهدد وحدة المجتمع.

الشخصيات الحكائية

ينفرد موضوع الشخصية بأهمية خاصة في البحث عن البني السردية في القصة والرواية والمسرحية والحكاية، وبما أنّ الشخصية تعتبر أحد مكونات العمل الحكائي، فتكتسب أهمية كبيرة «فهي العنصر الحيوي الذي ينهض بالأفعال التي تترابط وتتكامل في الحكي» (يقطين،

Archive of SID

www.SID.ir

۲۰۰۱: ۸۷) و«يتمحور حولها المضمون الذي يريد الكاتب نقله إلى القارئ» (كاهه، ۲۰۱۸: ۵۸۸). وهذه الشخصيات بحضورها في هذه الرواية تستطيع إبراز الصراع الاجتماعي والقضايا الاجتماعية. جدير بالذكر أننا في هذه الدراسة لانقوم بدراسة جميع الشخصيات الروائية، بل نركز على الشخصية الرئيسة وهي"ذات" والشخصية الفرعية وهو"عبدالمجيد" في هذه الرواية.

أ) ذات: المرأة والوعي والعزلة:

"ذات" بطلة الرواية فتاة مستسلمة لأوامر زوجها. هي في البداية كانت امرأة ضعيفة مغلوبة على أمورها. إنّها تتأمل الأحداث والوقائع الاجتماعية الّتي يمر بها المجتمع، بكل مآسيه، وبكل تناقضاته. حينما هي كانت تنوي مواصلة الدراسة لتعمل بعد التخرج، رفض عبدالمجيد هذا الطلب رفضاً قاطعاً، وأشار إلى أنّ البيت يحتاج إلى كلّ وقتها إضافة إلى أنه بنفسه قادر على رفع كل احتياجاتهما ولا داعي للقلق. استقبلت "ذات" هذه الحدود المقترحة. فهي رأت امتداداً طبيعياً لأوصاف أبيها في عبدالمجيد. فانقطعت هي عن الجامعة وتفرغت لرعاية بيتها، بينما ارتفعت تكاليف المعيشة شيئاً فشيئاً. "ذات" تحمل في باطنها عبئ المسئوولية، إنّها رمز القوة والأمان، فترى نفسها مجبرة على مساعدة زوجها. إنّ الظروف الاجتماعية صعبة للغاية تمر بها البلاد والمجتمع. فهي أيضاً لها دور في تأمين "الخبز". فالأحداث التي تعيشها، تساعدها على تشكل وعيها بذاتها وبالآخرين وبمجتمعها البائس الفقير. إنّها تتأمل في مآسي فئات المجتمع ولكنها لاتجد حلاً لها، فتنظر وتتأمل وتحزن كثيراً وتلتجأ إلى البكاء والعزلة. إنّها تعاني من العزلة بمفهوم الاغتراب، لكنّها لا تيأس أبداً. فهي تعيش في ضغط كبير في بيتها وفي المكان الذي تعمل أيّ في أرشيف المجلة. وهذا الضغط الشديد يؤثر على شخصيتها. فالشخصية الإنسانية أصبحت في هذا المجتمع تبحث فقط في الحصول على "الخبز" ولا تشعر بالأمان والرفاهية ولا تتمتع بالحياة، بل إنها تخرج من البيت في الصباح الباكر وترجع مساء وحينما ترجع، تفكر في أعمال البيت. فهي تقع تحت ضغوط اجتماعية صعبة مفروضة عليها. إنها تدرك الواقع اليومي وتحب التمرد عليه ولكنها تعلمت من البداية أنّ التمرد ليس من حقها، وعليها أن تستسلم. فإنّها تلتجأ إلى الصمت وتخضع لكل هذه المآسي، وترى الحل في العزلة لتكوين شخصية مميزة. لكنّها ترى أنّ من واجبها أن لا تقنط وأن تكافح جميع الصعوبات.

بعد مضي زمن أعلن عبدالمجيد أنّها يجب أن تعمل كالأخريات، فهو حاول أن يجد لها عملاً. فأوجد لها عملاً في صحيفة يومية. فهي واجهت مشاكل عديدة في حياتها وأصبحت

Archive of SID

www.SID.ir

قوية، فنلاحظ أنّها لاتتقنط وتحاول أن تنجح وتنقذ حياة ابنتيها. فهي تتغير ولا تستسلم للظروف ولا تخاف من قسوة المجتمع والزمن: «هل تيأس؟ أبداً. فما إن تنتهي من ذرف الدموع المناسبة حتى تحاول من جديد» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٧). إنّ البطلة تبكي كثيراً وهي تعاني من القلق والاضطراب النفسي ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهذا هو الذي تعلمتها في بيت أبيها منذ الصغر والآن زوجها يستمر منهج أبيها وتعاني "ذات" من تصرفاته كما عانت من تصرفات أبيها، ولكن لا حل أمامها إلا البكاء والصمت والاستسلام.

أصبحت "ذات" شخصية قلقة، مكتئبة، واختارت العزلة لنفسها، هي كانت امرأة طيبة سمحة، وكانت ترى أنّ البشر متساوون ولايفرقهم جنس أو جاه أو مال و... خلافاً لزميلاتها في الأرشيف. فكلما شاجرتها زميلاتها في الأرشيف أو شاجرها زوجها وحقرها وآذاها، فهي لم تتحدث ولم تجب ولم تدافع عن نفسها.

المقاومة والتحدي ورفض العبودية تظهر على "ذات" وبعد مضي زمن طويل من زواجها وهي تغضب من زوجها تنسكب سيلاً من الاتهامات إلى عبدالمجيد وتتذكر كلّ ما مرّت عليها هذه السنوات من مصائب ومشاكل في حياتها الزوجية. وبعد انتهاء كلامها تلتجأ إلى المرحاض للبكاء. "ذات" الّتي كانت تعمل خارج البيت، منذ ورودها بالمنزل كانت تعمل داخل البيت: «وزعت "ذات" اهتمامها بين مشاركة ابتهال في حفظ آية قرآنية والانفراد بكي زيها المدرسي...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣) "ذات" امرأة طيبة وهي تعلمت من الصغر أنّها يجب أن لا تفشي الأسرار، فهي كانت تحفظ أسرار زوجها: «فحينما سألت صفية عنها...قوليلي...فيه حد تاني؟ أجابت إجابة منطقية بالنفي، في إباء، فذات تعلمت أنّ هناك أشياء لا يعترف المرء بها ولا حتى لنفسه وإنّ طوق النجاة في الحياة هو تجنب ذكر الحقيقة في أيّ حال» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٢٠). يسبب الاكتئاب والقلق، النسيان في الانسان ويقلل من حدّة ذاكرته. فنلاحظ أنّ "ذات" التي أصابت بالإكتئاب ولم تكن راضية عن حياتها تعاني من ضعف الذاكرة: «ذات التي تجهل الخريطة، وتتعثر في الحفر والأرصفة...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٥٦) فهي حزينة دائماً لأنّها لم تتمتع بحياتها ولأجل الفقر وعدم وجود المال الكافي، يعيش أبناءها في ظروف سيئة. إنّها تتطلب من زوجها أن يسافر إلى بلد آخر لكي يأخذ راتباً أكثر ولكن هو يتقاعس عن هذا العمل: «تدافعت الدموع إلى مآقيها، وهي تعبر البلاط المكسر، ليكشف عن صالة معتمة باردة، خلت من أيّ فرش، وتدفق إليها الأطفال....وعلى رأسهم ابنها ولي العهد....» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٧٧).

Archive of SID

www.SID.ir

ب) عبدالمجيد:

هو رجل متعصب وله لهجة قاطعة وصارمة. فهو عاش وترعرع في ظلّ المجتمع الذكوري الذي يرى الرجل أعلى وأفضل من المرأة وهو يعتقد أنّه قادر على كلّ شيء. هو يتمتع بدرجة كبيرة من الثقة بالنفس. إنه يواجه المشاكل العديدة في حياته الزوجية، لأنّ زوجته لا تهتم به كثيراً. الكاتب يصف "عبدالمجيد" ويقول: «كان وسيماً، أنيقاً، مسلحاً بالضروريات الذهبية كالخاتم وعلبة السجائر و... معرفة بأنواع الطعام و... شكوى دائمة من سياسة الدولة، آراء قاطعة في مختلف الأمور...» (إبراهيم، ۱۹۹۲: ۱۲) فهو يعتقد أنّه هو الجنس الأفضل وإذا قال شيئاً، فلا حق لزوجته أن تعترض أو تشتكي أبداً.

الزمن والمجتمع

إنّ الزمن من أهم عناصر العمل الروائي التي تحمل في طياته دلالات هذا العمل. فنسعى في هذا التحليل الوصول إلى العلاقة التي تربط الزمن بالمجتمع. وفي رواية "ذات" نحاول دراسة الزمن باعتباره وسيلة لكشف بنية النص وفق العلاقة التي تجمع النص الروائي مع المجتمع. وسنقوم بتقسيم زمن الرواية على هذا الأساس.

أ) الزمن الطبيعي:

الزمن الطبيعي هو «إيقاع الزمن في الطبيعة- ويتميز بصفة خاصة بالتكرار واللانهائية» (أحمد قاسم، ۱۹۸٤: ۳۰) وحركة الفصول الأربعة تجعل من «الزمن يكرر مظاهر متشابهة أو متفقة» (أحمد قاسم، ۱۹۸٤: ۱۷۵) والهدف من دراسة هذا الزمن الطبيعي والممثل في حركة الفصول الأربعة في الرواية هو الوصول إلى القضايا الاجتماعية التي تطرحها الرواية من خلال ارتباطها بحركة الفصول الطبيعية. إنّ الكاتب صنع الله إبراهيم في رواية "ذات" لا يشير إلى الفصول الزمنية بل إنّه يهمل هذا الجانب الفني.

ب) الزمن النفسي:

الزمن النفسي من خصوصيات النفس الداخلية واللاوعي ولهذا فهو «لا تحكمه معايير محددة سوى تحرك الشخصية عبر أبعاد زمنها الخاص (الماضي والحاضر والمستقبل)» (القصراوي، ۲۰۰٤: ۵۹) وعن طريق «تعاقب الأفكار في أذهاننا، فالإحساس القوي بالألم أو السرور يجعل الزمن يبدو طويلاً، لأنّه يجعلنا أشد وعياً لأفكارنا» (مندلاو، ۱۹۹۷: ۱٤۱) والزمن النفسي

Archive of SID

www.SID.ir

لشخصية "ذات" في الرواية هو البحث في إظهار العلاقة التي تربط البنية الزمنية النفسية للشخصية الحكائية بالواقع الاجتماعي، والطريقة التي تشكل بها ترابط النص الروائي.

حينما تزوجت "ذات" قرر زوجها أن يوفر لها شقة جميلة وكبيرة، لكي يتمتعا بالعمارة الجميلة وجيران محترمون ولكن بعد زواجهما استأجر شقة صغيرة كانت تختلف تماما عما قال عبدالمجيد. فذات المسكينة بدأت حياتها الزوجية بالبكاء. كما يقول الكاتب: «بكت ذات بدموع غزيرة وهي تغادر منزل أبويها لآخر مرّة في رداء الزفاف المقترض من ابنة خالتها» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٥). فهي تمضي في حياتها أياماً حزينة وتتحمل خلافاً لما كانت تحلم في الماضي وفي الزمن الذي لم تتزوج. فهي حينما كانت ترى نجاح صديقاتها وقريباتها في الحياة الزوجية وما بعدها: «كانت إفرازاتها الدمعية تتدفق» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥١). تتعلق حالات "ذات" النفسية بالظروف الراهنة في البلد «الشارع الذي كان هادئاً ظليلاً، امتلأ بالدكاكين وغطته مياه المجاري والقاذورات والأرض الفضاء المجاورة التي كان مخططاً لها أن تصبح حديقة، صارت مزبلة...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥١) ولا نلاحظ الوعي عند السكان في هذا البلد، فهم يعيشون ويغمضون عيونهم على المشاكل العالقة في البلد: «تراكمت القمامة المحلية في الصفائح المتروكة أمام أبواب الشقق، مما أتاح للقطط إقامة مهرجانات صاخبة تستمر طوال الليل وتتبعثر محتويات الصفائح على أثرها... دون أن يفكر أحد منهم في التعرض لرزق القطط، فيما عدا ذات» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣). فـ"ذات" بوحدها تشكو من هذه الظروف وتصرخ بصوت صارخ وتحاول تنظيف المكان ولكن اليد الواحدة لا تصفق! إنّها امرأة حساسة، فهي إضافة إلى السمع المرهف كانت تتمتع بنفاذ البصيرة. فهي لا ترى أملاً في المستقبل، بل تعيش في حالة اكتئاب حاد في الزمن الحاضر. إنّها لأجل الظروف السيئة والتعسة التي تعيش فيها، أصابت بالاكتئاب، فهي لم تتمتع بحياتها الزوجية ولا تكون علاقة حميمة بينها وبين زوجها. والزمن الشخصي لـ"ذات" هو "الأنا" التي تبحث عن وعيها من خلال الذاكرة الجماعية. وخلال اكتشافها لهذا الوعي تمر على ذاكرتها أسئلة كثيرة من دون إجابة وأفكار تسيطر على وعيها. في ليلة حينما كان عبدالمجيد غضباناً وحاول استنشاق الهواء النقي، انزلقت طاولة الفورمايكا إلى الأرض وغضبت "ذات" من هذا الأمر وبكت كثيراً وحينما أراد زوجها أن يساعدها، صاحت في وجهه لأوّل مرّة في حياتها وقالت "ما تلمسنيش" وبعدها انهمرت سيلا من الاتهامات إلى عبدالمجيد. فهي كانت غضبانة واتهم زوجها بالهدم لعدة أسباب منها: «سوابق عبدالمجيد في كسر الأكواب والوسائل الزجاجية، وأنّه لولاه لكانت أكملت تعليمها وصارت الآن

Archive of SID

www.SID.ir

صحفية أو مذيعة، وأنانيته لأنّه كان يهتم بنفسه وأسرته ولكن تجاهل عنها واحتياجاتها وأيضاً كانت تعتقد بأنّ عبدالمجيد لماذا يتقاعس عن السفر إلى الخارج لتحسين حياتهم التعسة؟» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٠٠). هذه الأسئلة التي تدور في ذهن "ذات" نابعة من شعورها العاطفي وعجزها عن القيام بأيّ عمل فعلي؛ لأنّها ترى أنّ أسرتها تعيش في ظروف سيئة من حيث الاقتصادي وهي لا تستطيع أن تقوم بأيّ عمل لإنقاذ أسرتها وخاصة ابنتيها، فتطلب من زوجها أن يخرج من البلد ويذهب إلى مكان ليأخذ بنقود كثيرة.

هذه الأسئلة هي بداية اكتشاف الحقيقة التي تعيش فيها "ذات". فهي تحمل داخلها شعوراً بتحمل المسئولية. فهي بعد مضي سنوات طويلة من حياتها الزوجية، بدأت بالشكوى عن زوجها؛ لأنّها كانت طوال هذه السنوات تعيش في الحزن والألم وكانت دائما تلتجأ إلى المرحاض وتبكي هناك حتى تهدأ، من دون اعتماد على النفس ولكن هذه المرّة شكت معتمدة على نفسها مع أنّها أخيراً التجأت إلى المرحاض للبكاء ومضت عدّة أيام في حوار صامت بين الاثنين. فهي كانت تفكر بغلطة العمر التي ارتكبتها وإنّها أضاعت عمرها في المطبخ وفي تربية البنتين ورعاية عبدالمجيد و... ولم تتمتع هي بنفسها عن الحياة أبداً. لكنها دائما تبحث عن حل لإبعاد الخوف والقلق على أسرتها. فالزمن الشخصي لـ"ذات" هو الرابط الذي يوفق بينه وبين الزمن العام الاجتماعي للرواية. فقد جاء الزمان في الرواية صورة تجسد الواقع الاجتماعي، وتصور المآسي التي يعيشها المجتمع وتشخيصاً لنفسية الأفراد والشخصيات.

ج) الزمن الجماعي:

الزمن الجماعي الذي عرّفه "باختين" بقوله: «إنه يتمايز ويقاس بأحداث الحياة الجماعية فقط، وكل ما يوجد في هذا الزمن يوجد للجماعة فقط» (باختين، ١٩٩٠: ١٧٠) والهدف من دراسة الزمن الجماعي في رواية "ذات" هو إبراز الواقع الاجتماعي بكل أشكاله. فمن البديهي أن لا تعرف «الحياة الجماعية غير الزمن الجماعي، زمن العمل والإنتاج» (راشدي، ٢٠٠٢: ١٧) في هذا الزمن لا يوجد توجه إلى الأمام؛ فكل الأيام تشبه بعضها وكأن الزمن ثابت في مكانه لايتحرك: «كان عمل القسم يتلخص في مراجعة المواد المنشورة لاكتشاف الأخطاء المطبعية واللغوية والسياسية والمهنية، ثم مقارنتها بما تنشره الصحف الأخرى... الملفات المكومة فوق المكاتب تعلوها الأتربة، الصحف والمجلات المتناثرة في إهمال، أرفف المجلدات المصفوفة في نظام يحول دون الاستدلال إلى أحدها... الماكينات العاكفة على مضغ

Archive of SID

www.SID.ir

الفول والمخلل، ثم ابتلاع الشاي، كانت من الكفاءة بحيث لم تتوقف عن البث لحظة واحدة...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٨-٢٤) لا نلاحظ الاهتمام بالعمل عند العمال وإنّهم مشغولون بالثرثرة دائماً. فهذه الجماعة التي تعمل في الأرشيف، تتحدث عما يحدث كلّ يوم، فيبدأون من سعر الزيتون إلى أسعار الجوارب وأفضل أنواع اغطية المائدة، ثم أدوية الصراع وعسر الهضم و... كانت تربط بينهن خيوط من الألفة، تستبعد الغرباء مثل "ذات".

لا يتحدث الكاتب عن زمن انتهاء العمل ولكن نستطيع أن نفهم من القرائن أنّ العمل يبدأ في الصباح وينتهي في المساء: «شعرت برغبة في البكاء عند الانصراف من العمل، بعد أن وقفت أكثر من ساعة في انتظار سيارة السرفيس، وأثناء إعداد الطعام وقبل النوم...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٥) فالعمل مستمر وظروف العمال لا تتغير. العمال يعملون لأجل العيش فقط ولايتطلعون إلى المستقبل ولايفكرون بالمستقبل أو النمو والإنتاج. وهكذا استطاع الزمن في رواية "ذات" أن يشير إلى الإيديولوجي الذي طرحه الكاتب واستطاع الزمن الوصول إلى المجتمع وتجسيد الإشكالات الاجتماعية. فنلاحظ النزاع الدائم بين العمال وعدم الشعور بالأمان بينهم. فينازعون بعضهم بعضاً، لأنّ ظروف العمل سيئة للغاية، وكلّ منهم يخافون من الطرد لأجل لقمة العيش: «الماكينات كانت تتجاهل ذات عن عمد... فتشكلت مقاطعة منظمة ضدها....» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٦٣).

الفضاء الروائي والمجتمع ودلالته الاجتماعية

إنّ العمل الأدبي «حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته» (باشلار، ١٩٨٤: ١٨٤) إن المكان «ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل قد لا يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله» (البحراوي، ١٩٩٠: ٣٣) المكان هو «الإطار الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات» (شعبان، ٢٠٠٤: ٢٧٧) فالأديب الحاذق هو الذي يستطيع أن يتعامل مع المكان تعاملاً بارعاً، ويوظفه توظيفاً فنياً ناجحاً. لا يمكن فصل أهمية المكان في الرواية عن العناصر الأخرى المكونة لبناءها. فأهمية المكان تتجلى في «تعميق الجانب الدلالي للشخصية الروائية» (الأشلم، ٢٠٠٦: ٤٥٩) ولهذا فأهمية المكان تتجسد في إظهار الأبعاد الاجتماعية والنفسية للشخصيات الحكائية. كما نستطيع القول أنّ المكان يتجسد في الرواية بهدف تجسيد موضوع الرواية بطريقة تخيلية ذات أبعاد واقعية. في هذه الرواية نريد أن نتعرف على صور المكان المتعددة كالبيت والشارع والمقهى

Archive of SID

www.SID.ir

و... لكي نطلع على دلالات المكان الاجتماعية والثقافية التي تساعدنا على توضيح مضمون الرواية وعلى ايديولوجيا الرواية والكاتب.

أ) دلالة البيت:

البيت هو «ركننا في العالم، انه كما قيل مراراً، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معني» (باشلار، ١٩٨٤: ٣٦) وإنك «إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان...فهذه البيوت تعبر عن أصحابها، فهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين، الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيها» (ويليك، ١٩٨٧: ٢٣١) فالسكان كالبيوت يعيشون في فوضى ويعانون من المآسي والمشاكل العالقة في المجتمع. فلا نلاحظ الوحدة ولا العلاقة الحميمة بين السكان وهذا المجتمع مشتت ومتناثر والعائلة تعاني من عدم الاتحاد والمحبة. والعلاقات شيئاً فشيئاً تتمزق وتزيل. وفي هذه الرواية البيت لـ"ذات" هو المكان الخالي من كلّ شعور للأمان والدفء العائلي، فهي تعيش في بيت: «حفر مسامير متناثرة فوق الجدران، ومقابض أبواب منزوعة، وأسلاك مدلاة من الأسقف وقد تراكمت عليها الاتربة ومخلفات الذباب....» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٥) وفي وصف آخر هو يتحدث عن مكان العمل للبطلة: «نُقلت ذات إلى الأرشيف الذي يحتل الطابق الأخير من مبنى قديم مجاور، يصعد إليه درج مظلم وكئيب» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٣).

إن وصف هذه المناظر التي يقدمها إلينا صنع الله إبراهيم يجسد لنا أنّ البيت وسكانه يعيشون في الفوضى ولا يشعرون بالأمان والدفء العائلي، كأنّ البيت يكاد يسقط على رؤوس ساكنيه. وهذا الوصف يؤكد الظروف التعسة والمزرية للعيش. فيقول الكاتب أنّه ليس لعبدالمجيد بيتاً، بل هو اقترض هذا البيت للعيش، وهذا الأمر يدلّ على الظروف الاقتصادية السيئة في بلد مصر. فكل استخدام من قِبَل الكاتب يجسد لنا أنّ الأشياء في هذه الرواية «تحمل تاريخاً مرتبطاً بتاريخ الأشخاص» (بوتور، ١٩٨٦: ٥١) الذين يعيشون فيها ويستخدمونها. وهذه الظروف التعسة أثرت في شخصية بطلة الرواية "ذات" وجعلتها شخصية حساسة مكتئبة ومنعزلة عن الجو العائلي خاصة عن زوجها. فهي لا تستطيع أن تتحدث بسهولة مع زوجها، بل تشعر بالخوف تجاهه دائماً وتخضع لأوامره وتكرهه. فهي تشعر بالاضطراب والاكتئاب والطرد من قبل الآخرين، وفي كلّ الأحوال تلتجأ إلى المرحاض وتبكي هناك، لكي لا يرى أحداً بكاءها. هذا الأمر أيضاً تظهر لنا مدى وحدة هذه المرأة المسكينة في حياتها. فنستطيع القول أن هذا البيت الذي تسكنه "ذات" برز لنا مدى الغربة

Archive of SID

www.SID.ir

والوحدة والرفض الذي يعيش فيه، فهي تكره الواقع وتكره زوجها وهي تعيش فقط لأجل ابنتيها. فلا نلاحظ الانسجام بين السكان والبيت، بل نرى التنافر الموجود بينهم. فالبيت مليء بالفقر والظلام والعتمة الدائمة ولهذا البيت أثر سلبي على السكان وعلى المجتمع على إثره، فبطلة الرواية أصبحت منغلقة على نفسها، راضية بواقعها ومستسلمة لها. فلهذه الأمكنة دلالة الظلام المسيطر على أفراد المجتمع. فقد قام الكاتب صنع الله إبراهيم بوصف البيت وجعله يحمل دلالات اجتماعية ويرسم الواقع المعاش ويكشف عن الحياة اللاشعورية والداخلية عند الشخصيات.

ب) دلالة المقهي:

في الروايات العربية دور هام للمقهي؛ لأنه يلعب دوراً فكرياً وثقافياً في المجتمع. فالمقهى «يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي» (النابلسي، ١٩٩٤: ١٩٥)، يلجأ كل فئات المجتمع إلى هذا المكان. فالمقهي «نموذج مصغر لعالمنا، الذي يضج بكل ما تحتويه دنيانا» (صدوق، ١٩٩٤: ١٩٦) المقهى في رواية "ذات" صورة لصور البؤس والفقر الذي يمزق المجتمع ويفتك به؛ فالكاتب يصف المقهى ويقول: «المقهى الذي احتفظ بطابعه اليوناني، وبشرفته الواسعة المرتفعة عن الرصيف بأقدام قليلة،... وصندوق زجاجي مغبش من الوسخ، به أطباق الكفتة والكبدة والمخ والروزبيف، تحف بها عيدان ذابلة من البقدونس، وإناء مخللات و...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٠٧) فالمقهى صورة معبرة عن الظروف الاجتماعية التي يعيشها المجتمع المصري آنذاك. والمقهى في هذه الرواية رمز للحزن والهم الذي يثقل على عاتق عبدالمجيد. فهو أيضاً لايلتذ بحياته وعندما يذهب إلى المقهى يحب أن يتدارك عما يريده في الحياة ولايصل إليه ولكن في هذا المكان أيضاً هو لايشعر بالحرية وبعد قليل من الزمن ينصرف ويترك المقهى: «هكذا أتيحت لعبدالمجيد الفرصة لإشباع الرغبات المدفونة في ثنايا الدماغ منذ أيام.... عندما تبلغ اللوعة بعبدالمجيد القمة، يقرر الانصراف...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٢٠٧) وفي هذا التعبير عن المقهى نلاحظ القلق والتوتر والاغتراب بين الأشخاص الذين يدخلون في هذا المكان. فالمقهى في هذا المجتمع لم يصبح مكاناً يحمل دلالة الحرية الفكرية والاجتماعية، لأنّ الأشخاص عندما يدخلون لايتكلمون مع البعض ولا يشعرون بالحرية والأمان. وهذا يشير إلى مأساة الذات الفردية الممزقة عند الأشخاص. فأفراد هذا المجتمع لا يهتمون بالجولة والنزهة والتسلية، بل يهتمون بالحصول على الخبز فقط. وفئة قليلة من الأفراد يستطيعون الدخول إلى المقاهي

Archive of SID

www.SID.ir

والتمتع فيها. وبهذا أصبحت المقاهي «نسقاً مرجعياً ذا دلالة وخطاباً رمزياً وايديولوجياً» (البحراوي، ١٩٩٢: ٩١) وأصبح المقهى في هذا المجتمع صورة من صور البؤس والفقر ورمزاً للقلق والاغتراب الذي يعيشه أفراد هذا المجتمع. فالأفراد لايشعرون بالأمن ولايتمتعون بالحياة، بل يقضون الحياة بأسوأ شكل.

ج) دلالة المطعم:

تشبه صورة المطبخ في هذه الرواية صورة المقهي، فالمطبخ في هذه الرواية تتناسب مع موضوع الرواية ومع شخصياتها ومع طبيعة الحياة الاجتماعية التي تعيشها الشخصيات. وهناك تناسب بين المطبخ والمستوى الاجتماعي للأمكنة الأخرى التي ذكرها الكاتب في الرواية كالمقهى والبيت، فكان «هناك خيط اجتماعي واحد، ينساق على كافة الأمكنة، وكانت تربط هذه الأمكنة وحدة اجتماعية واحدة، تمثلت بالطبقة الوسطى، أو دون الوسطى في بعض الأحيان» (النابلسي، ١٩٩٤: ٢١١) ففي الرواية يقدم لنا "صنع الله إبراهيم" وصفاً للمطبخ ويقول: «في المطبخ، أمام براد الشاي، وبين جدران غير مدهونة حتى بالزيت، ولا شبر واحد....» (إبراهيم، ١٩٩٢: ١٢١) فالكاتب من خلال وصف المطبخ يصور تصويراً يوضح الحالة الاجتماعية الموجودة والواقع المعاش الذي يعاني منه هذا المجتمع المصري ويشرح مدى الفقر والحالة السيئة. فالكاتب يوظف الأمكنة إضافة إلى الجانب الجمالي، من أجل خدمة ايديولوجيا الرواية، ويحاول أن يرسم الظروف الاجتماعية المرزية التي يشير إليها هذه الأمكنة في الرواية.

د) دلالة الشارع:

يحمل الشارع دلالة الانتماء إلى الوطن والمجتمع؛ فالشارع هو المكان الذي يعبر عن الوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع الإنساني. إنّ الشارع في رواية "ذات" منظر كريه وتعس. فالشارع في الرواية يمثل الواقع «الحاضر وتعاسته وشقائه» (النابلسي، ١٩٩٤: ٦٧) وكراهية رؤية الشارع بهذا الشكل يشير إلى كراهية الحيا وكراهية الشوارع في هذه الرواية ينشأ من فساد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية حيث يقول الراوي: «فالشارع امتلأ بالدكاكين وورش السيارات، وغطته مياه المجاري والقاذورات، والأرض الفضاء المجاورة التي كان مخططاً لها أن تصبح حديقة، صارت مزبلة...» (إبراهيم، ١٩٩٢: ٥١) فالناس في هذا المجتمع يعيشون في أسوأ الظروف ولايتمتعون بالحياة أبداً، بل يزعجون من الفقر كما يؤدي هذا الفقر إلى القلق والاضطراب الداخلي والتوتر. فلا نلاحظ الأمل والحركة والنشاط في

Archive of SID

www.SID.ir

هـذا المجتمـع. فعـدم الشـعور بالأمـان في هـذا المجتمـع واضـح عـن طريـق هـذه الشـوارع. فـإذا أمطرت السماء، فالسكان يواجهون مشاكل عديدة، ويتوقفون عن العمل: «فحولت الشوارع إلى برك ومستنقعات، واقتحمت المياه المختلطة البيوت، وعجزت عاملات مصنع النسيج عن اللحاق بمواعيـد العمـل، فـوقفن في الطريـق باكيـات...» (إبـراهيم، ١٩٩٢: ١٦٣) فالسـكان مـن النسـاء والرجـال لايهتمـون بشـئ إلّـا بالحصـول علـى الخبـز. فالشـوارع تمـلأ بالصـخب والفوضـي. فالشـوارع تفتقـد الهـدوء والطمأنينـة. وصـورة الشـارع في هـذه الروايـة تظهـر دلالـة اجتماعيـة وتشير إلى عنوان ايديولوجي يعاني منه المجتمع كما تعبر هذه الصورة عن الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها سكان هذا المجتمع، فالشوارع تفتقد دلالة الهدوء والأمان والأصالة والهوية.

النتائج

١. قد استطاعت رواية "ذات" تجسيد الصراعات الاجتماعية والتوترات التي يعيشها المجتمع.

٢. قـد مثـل صـنع اللّه إبـراهيم الصـراعات الاجتماعيـة والمشـاكل والقضـايا العالقـة في مصر إبان الاحتلال الأجنبي وتواجدهم في البلد.

٣. الكاتـب صـنع اللّه إبـراهيم حـاول ترسـيم الوضـع الاجتمـاعي السـائد، وكـان عملـه مـن أساليب نشر الوعي بين الناس وحاول لوصول صوت الإنسان المصري إلى مختلف أنحاء العالم من خلال تصوير آلام ومعاناة كان يعاني منها في زمن حضور الأجانب في البلد.

٤. سعى الكاتب المصري ترسيم العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع، ولأجل ذلك وظف الزمـان والمكـان والشخصـيات والفئـات الاجتماعيـة الموجـودة في الروايـة لخدمـة موضوعه وتمثيل المشاكل الاجتماعية والتوترات التي يعاني منها المجتمع.

٥. إنّ الكاتب قد استخدم المكان في روايته كواقع حقيقي، وكبنـاء فني. فقد لعب المكان في هذه الرواية دوراً بارزاً وهو كصورة تجسد الواقع الاجتماعي وترسم المآسي التي يعيشها المجتمع، وقد ركز الكاتب على بعض الأمكنة التي تحمل دلالات اجتماعية ونفسية وثقافية في المجتمع؛ منها: البيت، المقهي، المطعم، الشارع.

٦. روايـة "ذات" تتشـكل مـن فئـتين اجتمـاعيتين مختلفـتين ومتناقضـتين في الوقـت ذاتـه، فالفئـة الأولى هـي فئـة العمـال والطبقـة الكادحـة في المجتمـع، والفئـة الثانيـة هـي فئـة أرباب العمل أو الطبقة الغنية.

Archive of SID

www.SID.ir

٧. إنّ الكاتب قد ركز على مؤشرة الشخصية، لأنّ الشخصية بحضورها في هذه الرواية استطاعت إبراز الصراع الاجتماعي والقضايا الاجتماعية.

٨. حاول الراوي المصري تجسيد مجتمعه تجسيدا رائعا بكل ما فيه من الصراع الداخلي والتمزق الذي يعاني منه المجتمع والذين يعيشون في هذا المجتمع في تلك الفترة المعينة التي كان الأجنبيون يعيشون في البلد أحرارا. فهذا الكاتب استطاع توظيف الرواية من أجل تحقيق ايديولوجيته لهذا المجتمع.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، صنع الله (١٩٩٢م). *ذات*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢. ابن خلدون، عبدالرحمن (دون تا). *المقدمة*. بيروت: دار الفكر.

٣. أحمد قاسم، سيزا (١٩٨٤م). *بناء الرواية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤. الأشلم، حسن أحمد علي (٢٠٠٦م). *الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى*. القاهرة: مجلس الثقافة العام.

٥. باختين، ميخائيل (١٩٩٠م). *أشكال الزمان والمكان في الرواية*. ترجمة يوسف الحلاق، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

٦. باشلار، غاستون (١٩٨٤م). *جماليات المكان*. ترجمة غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

٧. البحراوي، سيد (١٩٩٢م). *علم اجتماع الأدب*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

٨. بوتور، ميشال (١٩٨٦م). *بحوث في الرواية الجديدة*. ترجمة فريد أنطونيوس، ط ٣، بيروت: منشورات عويدات.

٩. بير، زيما (١٩٩١م). *النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي*. القاهرة: دار الفكر.

١٠. حسن بحيري، سعيد (٢٠٠٤م). *مدخل إلى علم لغة النص*. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

١١. زرين كوب، عبدالحسين (١٣٦١ش). *نقد ادبي*. طهران: اميركبير.

١٢. شعبان، هيام (٢٠٠٤م). *السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصرالله*. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.

١٣. صدوق، نور الدين (١٩٩٤م). البداية في النص الروائي. دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع.

١٤. عبدالرحمن، عبدالله محمد (٢٠٠٣م). *علم الاجتماع النشأة والتطور*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٥. عبود، مارون (١٩٦٦م). *رواد النهضة الحديثة*. بيروت: دار الثقافة.

١٦. غولدمان، لوسيان (١٩٩٣م). *مقدمات في سوسيولوجية الرواية*. ترجمة: بدرالدين عرودكي، بيروت: دار الحوار للنشر والتوزيع.

١٧. القصراوي، مها حسين (٢٠٠٤م). *الزمن في الرواية العربية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

Archive of SID

www.SID.ir

١٨. كاهه، عليرضا (٢٠١٨م). «بنية الشخصية في رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني»، *مجلة اللغة العربية وآدابها*، العدد ٤، صص٥٨٧-٦٠٧.

١٩. لحمداني، حميد (١٩٩٠م). *من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النصّ الروائي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢٠. معتوق، جمال (٢٠٠٩م). *علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا*. الجزائر: دار بن مرابط.

٢١. مندلاو، أ.أ. (١٩٩٧م). *الزمن والرواية*. ترجمة بكر عباس، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

٢٢. النابلسي، شاكر (١٩٩٤م). *جماليات المكان في الرواية العربية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٣. ويليك، رينيه (١٩٨٧م). *نظرية الأدب*. ترجمة محي الدين صبحي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٤. يقطين، سعيد (٢٠٠١م). *انفتاح النص الروائي (النص والسياق)*. ط ٢، المغرب: الدار البيضاء.

25. http://www.liilas.com.
26. http://arshive.aawsat.com

Archive of SID

www.SID.ir